AL HIKMAH RESEARCH & PUBLICATION CENTRE
Al-Hikmah International Journal for Islamic Studies & Human Sciences

مجلة الحكمة العالمية
للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية
العدد 6، الرقم 2، مايو 2023
E-ISSN: 2637-0581

ومضات تفريقية بين التورية والمشترك اللفظي والمجاز
Striking Differences between al-Tauriyah, al-Musytarak al-Lafẓī and al-Majāz

Syazwan Naim Ibrahimشزوان نعيم إبراهيم
Department of Arabic and Middle Eastern Languages.
Universiti Malaya (UM)
wannaim@um.edu.my

Mat Taib Pa مت طيب فا
Department of Arabic and Middle Eastern Languages
Universiti Malaya (UM)
mattaib@um.edu.my

Mohammad Semanمحمد سمن
Department of Arabic Land Middle Eastern Languages
Universiti Malaya (UM)
masman@um.edu.my

Article Progress

Received: 10 Feb 2023
Revised: 30 March 2023
Accepted: 29 April 2023

*Corresponding *Author:*
Syazwan Naim Ibrahim

Department of Arabic and Middle Eastern Languages,
Faculty of Languages and Linguistics,
Universiti Malaya

Email:
wannaim@um.edu.my

ملخص

التورية هي أن يذكر المتكلم لفظا له معنيان؛ معنى قريب غير مقصود ومعنى بعيد هو المقصود. لكن ثمة صعوبة والتباسا في فهم مفهوم التورية هذا لأن بعض البلاغيين يقحم مفهومي المشترك اللفظي والمجاز في التورية حتى يصعب التفريق بين تلك المفاهيم الثلاثة. لذا، يحاول البحث التأكد من مفهوم التورية والفرق بينها وبين المشترك اللفظي والمجاز. ومن ثم، وظف الباحثون مفهوم التورية للحموي (1894م) وفضل حسن عباس (2007م) لتحقيق ذلك الهدف. انتهج الباحثون المنهج الوصفي التحليلي بالرجوع إلى آراء البلاغيين القديمة والحديثة بغية تحقيق الهدف. وقد خلص الباحثون إلى أن التورية تتعامل مع معنيين حقيقيين؛ معنى قريب وبعيد وا لمجاز مع معنيين؛ معنى حقيقي ومجازي وهي تخفي الصلة بين معنييها وليس ذلك في المجاز. ثم كثرة تداول لفظ وقلته تلعب دورا في التورية لا في المجاز والمشترك اللفظي رافد التورية الأساسي. يوصي الباحثون في نهاية البحث بأن يجرى مزيد من بحوث تهتم بدراسة التورية.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، البلاغة العربية، التورية، التداوليات

Abstract

Al-Tauriyah is a single word uttered by a speaker that has two meanings; closer meaning that is not intended and distant meaning that is intended. However, there is a difficulty in understanding the concept of al-Tauriyah as some Arabic rhetoricians have treated the concept of al-Musytarak al-Lafẓī and al-Majāz as part of al-Tauriyah, leading to a difficulty in discerning between those concepts. Thus, the purpose of this study is to distinguish al-Tauriyah from al-Musytarak al-Lafẓī and al-Majāz. The researchers utilized al-Ḥamawī (1894M) and Faḍl Ḥasan 'Abbās's theory of al-Tauriyah (2007M) as a guidance to achieve the objective. The researchers employed a descriptive analytical method generally by referring to classical and modern scholarly opinions of Arabic rhetoricians which further support the theories to achieve the objective. The researchers concluded that al-Tauriyah deals with two real meanings; closer and distant meaning while al-Majāz deals with two meanings; real and metaphoric meaning, al-Tauriyah hides the relationship between its two meanings while al-Majāz does not, frequency of word use plays a role in al-Tauriyah and not in al-Majāz, and al-Musytarak al-Lafẓī is al-Tauriyah's primary basis. The researchers hope that more research on al-Tauriyah will be carried out.

Keywords: Arabic, Arabic rhetoric, al-Tauriyah, pragmatics

المقدمة

التورية فن من الفنون البلاغية العربية البديعية التي استرعت فائق اهتمام العرب في مشارق الأرض ومغاربها خاصة فطاحل كتاب وشعرائهم منذ أمد بعيد وسيدرك أحد أن كتب البلاغة جد حافلة بالحديث عن التورية إيجازا وتفصيلا. والشعراء من مصر والشام في القرن السادس والسابع والثامن الهجري خاصة لدى البديعيين المتأخرين يتغلغلون في توظيف التورية ويغوصون في قعرها فيأتون بعجائبها التي تبرهن على مدى نقاوة الطبع والقدرة على

التفنن في مجاري الكلام عفو الخاطر (عتيق، 2002م). فمن الأوائل الذين بدأت بهم التورية هو أبو الطيب المتنبي بقوله:

بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ سَيْفُهُ كَـفَّـهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَّاتِ يَصْطَحِبَانِ

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَـمَانِي

حيث تقع التورية في لفظ "يَمَانِي" أراد من خلالها المتنبي أن يبين أن الشبيب وسيفه يفترقان افتراق قيس واليمن من التنافر والشبيب قيسي والسيف يماني فورى برجل منسوب إلى اليمن عن أحد أسماء السيف. لكن يزعم البعض أن البديعيين المتأخرين أمثال أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري قد التفتوا إليها قبله وكما أنها تكثر توظيفا لديهم شعرا ونثرا حتى يكون التوظيف مبالغة وتعسفا وفسادا لكثرة شعرهم مما يحط من شأن الشعر العربي (الحموي، 2004م).

فشهرة توظيف التورية أدت بأولئك الكتاب والشعراء بتسجيل تلك الظاهرة كي يتوارثها أجيال متلاحقة بعدهم. فمن بين المؤلفات التي تعنى بالتورية كتاب "البديع" لأسامة بن منقذ وكتاب "حدائق الشجر في دقائق الشعر" للفارسي رشيد الدين الوزواز (الأندلسي، 2007م) وكتاب "خزانة الأدب وغاية الأرب" وهو أضخمها لابن حِجَّة الحموي الذي بلغ الحديث عن التورية فيه 467 صفحة استشهادا من عصر القاضي الفاضل إلى عصره (عتيق، 2002م). أضف إلى ذلك، من الدوافع الكامنة وراء توظيف التورية في إنتاجاتهم الشعرية والنثرية هي إظهار عبقريتهم وسعة ثقافتهم والرغبة في إخفاء دلالة شيء بأن لا يعرفه أحد بوضوح فيلجأ إلى طريق آخر لتفسير مقبول ومقنع في الوقت نفسه (الأندلسي، 2007م).

إشكالية البحث:

تضاربت أقوال البلاغيين حول مفهوم التورية فابن حِجَّة الحموي (2004م) مثلا يعرف التورية في كتابه المسمى بـ"خزانة الأدب وغاية الأرب" بأنه: "أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاما".

من خلال التعريف، يرى ابن حِجَّة الحموي أن كلا المعنيين القريب الظاهر المورى به والبعيد الخفي المورى عنه للتورية يكونان إما حقيقيين أو حقيقيا ومجازيا انسجاما مع ما أورده السيوطي (2015م) وأحمد مطلوب (2006م) أيضا حول الأمر قائلين بأن المعنيين يمكن أن يكونا حقيقيا ومجازيا. فلو كان أحد المعنيين حقيقيا والآخر مجازيا كما سبق الذكر، لحدث ثمة اضطراب في تأسيس مفهوم التورية كونها مبحثا مستقلا في علم البلاغة عاما وفي البديع خاصا بحيث إنهم أدخلوا المجاز كذلك في التورية. إضافة إلى المفهوم أعلاه، يذكر السيوطي (2015م) هو الآخر أن المعنيين يمكن أن يقعا على سبيل الاشتراك أو التواطؤ أو الحقيقة والمجاز وهذا هو اللبس الآخر أثاره. فينبغي هنا تحديد مفهوم التورية وتأسيسه من جديد بما في ذلك المشترك اللفظي حتى تتميز التورية من مفاهيم غيرها.

فالتساؤل الذي يطرح نفسه: ما مفهوم التورية والفرق بينها والمشترك اللفظي والمجاز؟

بناء على ما سبق، فإن ما يحاول البحث إنجازه هو بيان مفهوم محسن من المحسنات البديعية المعنوية ألا وهو التورية والفرق بينها والمشترك اللفظي والمجاز.

هدف البحث:

وفي هذا الإطار يتنزل الهدف من البحث على النقطة التالية:

- التأكد من مفهوم التورية والفرق بينها وبين المشترك اللفظي والمجاز.

تساؤل البحث:

ويتجلى تساؤل البحث في:

- ما مفهوم التورية والفرق بينها وبين المشترك اللفظي والمجاز؟

حدود البحث:

وعلى الرغم من أن مباحث علم البديع في البلاغة العربية كثيرة العدد إلا أن البحث الراهن يلقي الضوء على مبحث واحد غير مبحوث فيه بكثير هو التورية.

منهجية البحث:

أولا: الإطار النظري

سيكون مفهوم التورية الذي أورده كل من ابن حِجَّة الحموي (1894م) في كتابه الموسوم بـ"كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام" وفضل حسن عباس (2007م) في كتابه الموسوم بـ"البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع" إطارا نظريا معتمدا عليه لتبيين مفهوم التورية والفرق بينها والمشترك اللفظي والمجاز. فيعرف الحموي (1894م) التورية بأنها: "أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد فتذكر لفظا يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر منها أن مراده البعيد" وفضل حسن عباس (2007م) بأنها: "أن يذكر اللفظ المفرد ويكون له معنيان، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويكون البعيد هو المراد ولا بد لها من قرينة تبين المعنى المراد، وهذه القرينة تدرك بالتأمل". فذلك الإطار النظري يعد منطلقا أساسيا لتحقيق الهدف إضافة إلى أن المفهوم من أكمل مفهوم وأشمله حول التورية مقارنة مع البديعيين الآخرين حسب رأي الباحثين على الرغم من أن المفهوم ما زال عرضة للنقاش.

ثانيا: نوع البحث

هذا البحث بحث مكتبي ينتهج في تناول الإشكالية المنهج الكيفي عاما حيث يقوم الباحثون بمناقشة مفهوم التورية.

ثالثا: طريقة جمع البيانات

يجمع الباحثون البيانات من آراء البلاغيين القدامى والمحدثين المنثورة في كتب أو مقالات.

رابعا: طريقة تحليل البيانات

سيناقش الباحثون بشكل نقدي دقيق في البحث مفهوم التورية مقارنة مع مفاهيم أخرى من قبل البلاغيين القدامى والمحدثين. فعند المناقشة والمقارنة، يستعين الباحثون بمفهوم التورية لابن حِجَّة الحموي (1894م) وفضل حسن عباس (2007م).

وعلى الرغم من أن للحموي مفهومين للتورية في كلا مؤلفيه أحدهما "كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام" وهو الأسبق زمنا في التأليف والآخر "خزانة الأدب وغاية الأرب" إلا أن الباحثين يتخذون المفهوم الأول (1894م) منطلقا لاستنتاج مفهوم جديد أكثر وضوحا والمفهوم الثاني (2004م) مأخذا للنقاش العميق. قام الحموي بمراجعة مفهوم التورية الذي أورده في المؤلف الأول لكن لم يزل المفهوم في رأي الباحثين يحتاج إلى مراجعة أخرى دقيقة. ولم يجد الباحثون السبب من وراء تلك المراجعة للحموي فلو كان يبقى مع مفهومه للتورية السابق لكان في رأي الباحثين الأحسن تأسيسا ووضوحا لمفهوم التورية لعدم إدخاله عنصر المجاز كما في المفهوم الثاني. وفيما يلي رسم توضيحي عام لخطوات منهجية البحث:

الرسم التوضيحي 1: خطوات منهجية البحث التي يقوم بها الباحثون للوصول إلى النتائج

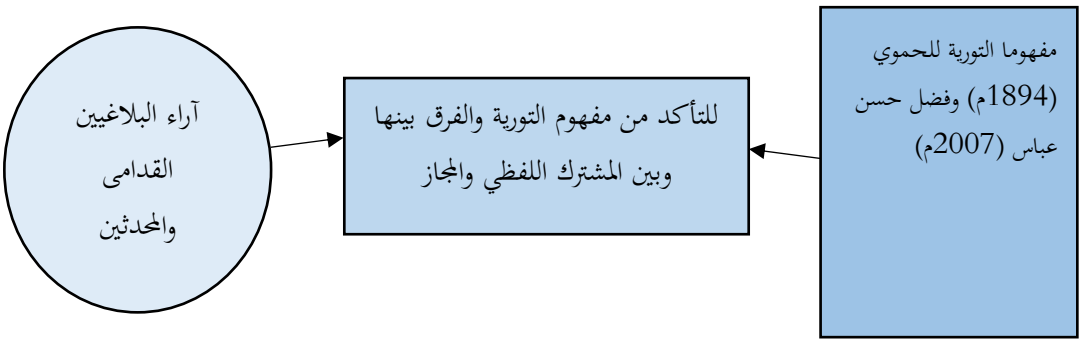

أهمية البحث:

فبما أن البحث الحالي يبحث في التورية، فلعل الباحثين من خلال البحث يتوفقون في تقديم مفهوم آخر جديد للتورية والفرق بينها وبين المشترك اللفظي والمجاز. وتكمن أهمية البحث في الجهتين الآتيتين:

الدراسات السابقة الموجودة

فالبحث يتأكد من مفهوم التورية في ظل علم البلاغة العربية وذلك بتفريق مفهومها ومفاهيم متداخلة أخرى مثل المشترك اللفظي والمجاز حتى يرفع قناع الالتباس. وهذا ما ينقص الدراسات السابقة حسب رأي الباحثين إذ لا يكتفي الباحثون بمفهوم التورية للبلاغيين القدامى بل يحاولون تأسيس مفهوم لها جديد حتى لا يبقى عليه مكان لشبهة ومسألة.

المتخصصون في علم البلاغة العربية ودارسوه

فالبحث يفيد أيضا الطرفين المهمين في قطاع التعليم والتعلم. فبعد وصول البحث إلى نتائجه المرجوة، يرجى من المتخصصين في علم البلاغة العربية بما فيهم المحاضرون والمدرسون الاعتماد على المفهوم الجديد الذي سيأتي به الباحثون (2023م) للتورية أثناء تعليم طلبتهم إياها. ثم يرجى من الدارسين أن يفهموا التورية فهما عميقا مفرقين في الوقت نفسه بين التورية والمشترك اللفظي والمجاز. فمن خلال البيان الذي سيتطرق إليه الباحثون حول شروط خاصة لكل من تلك المفاهيم الثلاثة، يرجى من الدارسين أن يتبينوا ويتيقنوا باستقلالية المفاهيم وقاسمها المشترك والمختلف إن وجد.

مفهوم التورية وأقسامها

مفهوم التورية والفرق بينها والمشترك اللفظي والمجاز

يكاد يتقارب مفهوم التورية والمشترك اللفظي والمجاز فلا بد من تحقيق ضوابط الكل وضوحا حتى لا يظن ظان أن المباحث الثلاثة شيء واحد. هذا لأن تلك المباحث تدور حول كلمة لها معنيان على الأقل ويبهم تحديد معنى أراده المتكلم إلا إذا وجدت قرينة تدل على

التحديد. فسيبدأ الباحثون في المبحث الراهن بمناقشة المفاهيم الثلاثة المشكلة للتورية لابن حِجَّة الحموي والسيوطي وأحمد مطلوب وتبيين الفرق بين التورية والمشترك اللفظي والمجاز ثم الإتيان بمفهوم جديد للتورية.

فتعريف التورية حسب ما يقوله ابن حِجَّة الحموي (2004م): "أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاما". فمن خلال المفهوم، يخلط الحموي بين الحقيقة والمجاز والتورية في قوله: "أو حقيقة ومجاز" إذ المجاز شيء والتورية آخر كما سبق أن يقوله الباحثون.

ويجدر بالذكر أن التورية لا تنحصر في لفظ له معنيان اثنان فحسب بل أكثر من ذلك (الفاداني، 2015م) لأن المنبع الأساس للتورية هو المشترك اللفظي الذي اتفق لفظه واختلف معناه (عباس، 2007م) والذي نشأ من كون الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية (السيوطي، 1998م) كالعين التي تعني مثلا ينبوع الماء والمطر والنقود والجارحة المعروفة. لكن لا بد للباحثين أن يذكروا محترزا هو أن المشترك اللفظي على الرغم من كونه يحمل في طياته معاني عدة إلا أن التورية وعلى الرغم من احتوائها كذلك على معان لمعنييها القريب والبعيد إلا أن التورية تدور حول المعنى الأقرب المتبادر إلى ذهن المتلقي أول وهلة والأبعد المدرك بعد التأمل فحسب. وأما المجاز فلا علاقة له بالمشترك اللفظي مثل لفظ القمر الذي يطلق على امرأة حسناء للتعبير عن جمالها. فالإطلاق ليس إلا نقل خاصية الجمال للقمر إلى شيء يماثله فيها. لذا، لا يطلق لفظ القمر للدلالة على امرأة حسناء أول ما وضعه العرب وإنما على سبيل المجاز. فالمجاز لا يعدو أن يكون مجرد نقل وانحراف معنى أصلي.

أما المجاز فهو "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي" على حد تعبير فضل حسن عباس (2007م) مثل تداول لفظ الأسد في الجملة "الأسد في الغابة" حقيقة للحيوان المفترس المعروف في الغابة وفي الجملة "الأسد في الفصل"

مجازا لرجل شجاع بقرينة التعبير "في الفصل" التي تمنع من إرادة الأسد فتصرف المعنى الحقيقي إلى المجازي. فيصح إطلاق المجاز هنا لعلاقة مشابهة واضحة بين إقدام الأسد وشجاعة الرجل. وقرينة المجاز لا يكفي كونها مجرد قرينة من حيث هي القرينة لكنها ينبغي أن تكون قوية جدا تمكنا من صرف المعنى الحقيقي إلى المجازي. ويذهب الباحثون إلى أن ما يقصد بقوة القرينة أن المجاز لا يترك مجالا لعدم مشابهة بين المعنيين وكذلك التصريح بتداوله من العرب أنفسهم. وهذا الأخير أقوى ما يستند إليه حول الأمر حيث لهم ملاك هذه اللغة وهم الأعلم بأحوالها التي ينشأون فيها. فظاهرة المجاز تتعامل مع المعنيين الحقيقي والمجازي بيد أن ظاهرة التورية تتعامل مع المعنيين الحقيقيين القريب غير المقصود والبعيد هو المقصود. فلا يقال رجل شجاع هو المعنى البعيد للفظ الأسد لوضوح الصلة بين الأمرين عند العرب. في حين، تحرص التورية على إخفاء الصلة بين المعنيين القريب والبعيد حتى لا يدركه الذهن بسهولة. فعامل الخفاء هو فرق آخر مهم بين التورية والمجاز.

من ناحية أخرى، يذهب السيوطي (2015م) في إتقانه إلى أن التورية هي: "أن يذكر لفظ له معنيان – إما بالاشتراك، أو التواطؤ، أو الحقيقة والمجاز – أحدهما قريب والآخر بعيد، ويورى عنه بالقريب، فيتوهمه السامع من أول وهلة" بحيث إن السيوطي يجمع طرقا ثلاثا لتقع من خلالها التورية وهي الاشتراك أو التواطؤ أو الحقيقة والمجاز. فهو لم يحدد الطريق الوحيد لوقوع التورية فضلا عن عدم شرحه للمفهوم. وتعريف آخر مشكل أتى به أحمد مطلوب (2006م) في معجمه المعنون بـ"معجم المصطلحات البلاغية وتطورها" أن التورية هي: "أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع مع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك، ولذلك سمي هذا الفن إيهاما". فأحمد مطلوب هو الآخر يذكر بأن المعنيين القريب والبعيد للتورية يكونان حقيقيين أو حقيقيا ومجازيا انسجاما مع ما أورده ابن حِجَّة الحموي في خزانته. فقوله: "حقيقيا ومجازيا" فضلا عما يذكره السيوطي حول وقوع التورية على

سبيل الحقيقة والمجاز حسب رأي الباحثين سيحدث اضطرابا في تفريق مفهومي التورية والمجاز إذ المجاز شيء والتورية آخر. وسيجد المتأمل في تعريف أحمد مطلوب خاصة لا يختلف عن تعريف الحموي السابق فليس إسهاما جديدا في التعريف.

فيرى الباحثون أن المعنيين ينبغي أن يكونا حقيقيين فحسب لأن أساس التورية وهو المشترك اللفظي يحمل معاني حقيقية للفظ وضعها العرب قديما واعتبار البلاغيين (السامرائي، 2015م) حول هذا الأمر ينسجم مع رأي الباحثين هذا. وينسجم مع الرأي أيضا ما أتى به فخر الدين الرازي (1992م) قائلا بأن المشترك اللفظي موضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر. لذا، التورية كلها حقيقة لا مجاز فيها بحكم أن المشترك اللفظي لا يحمل إلا معاني حقيقية. والمشترك اللفظي إلى جانب وظيفته في حمل معان حقيقية للفظ هو نفسه يجعل اللفظ خافيا (قاسم، 2012م) مما يساعد التورية أكثر في إخفاء المعنى البعيد عن متناول الذهن.

ومثال المشترك اللفظي لفظ العين الذي يصلح إطلاقه مثلا على منبع الماء والمطر والمال والجارحة التي يبصر بها. فإطلاق العين على كل تلك المعاني حقيقي لكثرة ما في كلام العرب في تسميتهم أشياء كثيرة بكلمة واحدة كما أكده السيوطي (1998م) في المزهر. وتجدر الإشارة كذلك أن كل تورية مشترك لفظي وليس كل مشترك لفظي تورية شريطة أن تكون المعاني التي يحملها المشترك اللفظي مشتهرة ومتداولة بين ألسنة قومه (عتيق، 2002م). والرسمان التوضيحيان التاليان يبينان علاقة التورية بالمشترك اللفظي وبالمجاز:

الرسم التوضيحي 2: علاقة التورية بالمشترك اللفظي

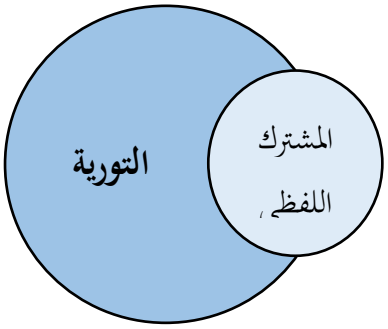

الرسم التوضيحي 3: علاقة التورية بالمجاز

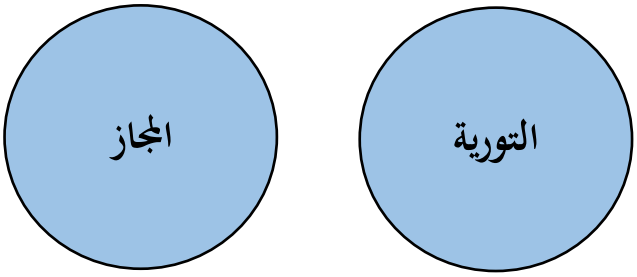

مفادهما أن الرسم التوضيحي 2 ينشئ نسبة عموم وخصوص مطلقا وهي على حد تعبير التفتازاني (2018م) صدق أحد الكليين على ما صدق عليه الآخر من غير عكس. فيلاحظ أن كل التورية ينبغي أن تكون من قبيل المشترك اللفظي وليس كل المشترك اللفظي من قبيل التورية بينما الرسم التوضيحي 3 ينشئ نسبة تباين وهي عدم صدق شيء من الكليين على شيء مما صدق عليه الآخر. فيلاحظ أن التورية والمجاز لا تربطهما أية علاقة فيتميزان.

وأما السبب الذي جعل المعنى القريب قريبا من الفهم فهو كثرة تداول اللفظ، والمعنى البعيد بعيدا عنه هو قلته. وكثرة تداول اللفظ تجعل المعنى القريب متبادرا فهمه إلى ذهن المتلقي لأول وهلة. وأما قلته فتجعل البعيد مستوحشا لندرته عند المتلقي (الفاداني، 2015م) فيهمله. فعلى هذا الأساس، يعتمد الموري على التداول القليل النادر للفظ ولا يلتفت ألبتة إلى الكثير المشهور منه (محمد، 2018م) ليقف بذلك عند حد التورية. هذا يدل على أن تداولية لفظ في التورية لا تكون إلا نادرة. لكن يعتقد أمبرتو إيكو (2005م) أن عامل التداول أمر نسبي لأن معاني لفظ قد تكون لشخص غنية بالمعاني القابلة للتأويل لدرايته الموسوعية الواسعة حولها. ففي هذا الصدد، يرى الباحثون أن ما يعتقده أمبرتو إيكو حول سعة موسوعية شخص لمعاني لفظ ينطبق على المتثقفين فحسب وهم أقل عددا من الآخرين فضلا عن وضع العرب في العصر الحالي الذين تنحسر سليقتهم نحو العربية نفسها وهي لغتهم الأم. فلا يكون هناك مشكلة في عامل التداول. لذا، الأخذ بالأغلب لا بالأقل. فانحسار سليقتهم اللغوية سيبعدهم عن اكتشاف معان خفية للفظ شيئا فشيئا فسيكتفون بما هو مألوف في التداول اليومي. والباحثون يوظفون مصطلح التداول الذي وزنه الصرفي التَّفَاعُلُ للدلالة على تشريك طرفين اثنين هما المتكلم والمتلقي أو أكثر (الحملاوي، 2010م) في تداول لفظ التورية واستدعائه كثيرا أو قليلا. هذا لأن مصطلح الاستخدام أو الاستعمال مثلا يوحي بأن اللفظ يدور حول طرف واحد فحسب. وما يراه الباحثون كذلك أن أي لفظ مستخدم أو مستعمل ليس بالضرورة أن يكون متداولا لكن أي لفظ متداول لا بد أن يستخدم أو يستعمل قبل أن يتداول.

ولفضل حسن عباس (2007م) رأي أن كثرة تداول لفظ وقلته في المجاز لا تدخلان في حسابه مثل لفظ الصلاة الذي تدوول كثيرا بمعنى الدعاء لغة لكن الآن قل تداوله في ذلك المعنى فقلة تداوله لا تحوله إلى مجاز كما أن كثرته بمعنى عبادة مخصوصة للمسلمين لا تحوله إلى حقيقة. والباحثون في هذا الأمر يرون أن الرأي يحتاج إلى نوع من الإضاءة هي أن حقيقية الكلمة ومجازيتها ينبغي أن تستحضرا معا شأنهما شأن وجهي

عملة واحدة مؤيدا بما يقوله السيوطي (2015م) إن كلمة الصلاة مثلا إن نظرت إلى كونها دعاء فهي حقيقة لغوية وإن نظرت إلى كونها تلك العبادة المخصوصة للمسلمين فهي حقيقة شرعية وفي الوقت نفسه مجاز لغوي. ولعل ذكر مكرم (2009م) حول اشتمال الصلاة على مظهر من مظاهر الدعاء حسب ما يستشفه الباحثون يبرر تسمية الصلاة بتلك العبادة المخصوصة شرعا من أصل حقيقتها اللغوية. وللغزالي (1992م) حول حقيقية الكلمة ومجازيتها رأي آخر هو أن المجاز لا بد أن يكون له قسيم وهو الحقيقة والعكس ليس بضروري. لكن الرازي (1992م) يرى أن المجاز وإن غابت الحقيقة له يتحقق بمجرد تداوله في غير ما وضع له أصلا. لكن الباحثين لا يتفقون مع الرازي على رأيه حيث من الطبعي أن يكون للمجاز حقيقته كي يستطيع أن يفرق شخص بين المعنى الأصلي لكلمة الذي اصطلح عليه العرب وضعا أوليا وبين الفرعي لها الذي نقلوه. فالمجاز متوقف على الحقيقة. وأما ما يخص المعنى المهجور المنسي لكلمة كانت قبل متداولة في عصر أو كانت لهجة قبيلة انقرضت فلا يعني تركه تركا كليا بل يمكن إحياؤه وإعادته من جديد (الصالح، 2009م) إذا تداولها مستخدموها بكثرة ملحوظة. ويوضح ابن قيم الجوزية (2003م) أن سبب هجران ذلك المعنى الأصلي الحقيقي لكلمة ونسيانه كثرة المجاز واستعماله فصار بذلك معروفا خاطرا بالبال بواقع التداول.

ودرءا للبس بين بيان عامل كثرة تداول لفظ وقلته في التورية والمجاز في الفقرتين السابقتين، يريد الباحثون أن يوضحوا أن ذلك العامل له تأثير في جعل المعنى القريب قريبا من الفهم والبعيد بعيدا عن الفهم في التورية بالنظر إلى حقيقية لفظي المعنيين. يعني الباحثون بذلك أن كلا لفظي المعنى القريب الظاهر الموري به والبعيد الخفي الموري عنه حقيقيان. وأما المجاز على الرغم من أن ذلك العامل له تأثير كذلك في جعل المعنى الحقيقي بعيدا عن الفهم والمجازي قريبا من الفهم إلا أن الأمر يتعلق بلفظ حقيقي وآخر مجازي ويمكن أن تكون الحقيقة مجازا والمجاز حقيقة. أما التورية فتشتغل بالحقيقة فحسب. فلا مساواة بين التورية والمجاز.

بالإضافة إلى ذلك، قصد المعنى البعيد ينبغي أن يكون لقرينة خفية من أجل إفادة التورية إذ الفشل في ذلك ستكون التورية غير محققة ويتبادر المعنى القريب إلى الذهن. ولا تتحقق التورية أيضا إن كانت القرينة ظاهرة فصار اللفظ قريبا بها وإن كان بعيدا في الأصل (رامبوري، 2011م) لعدم خفاء القريب للبعيد نحو قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ (الأنعام: 60) حيث لا يزعم أحد أن كلمة "يَتَوَفَّاكُمْ" معناها القريب هو الوفاة والبعيد هو قبض الروح عند النوم ليلا لأن بني آدم لهم روحان وهما روح الحياة التي تخرج بموتهم وروح التمييز التي تخرج إذا ناموا وتعود إلى جسدهم إذا يقظوا (الفاداني، 2015م). فالنائم المتوفى هو الذي استوفى عقله وتمييزه حتى ينام (المصري، 1883م) وأن توفي روحه في النوم توف ظاهر وفي الموت توف ظاهر وباطن (السامرائي، 2011م). بناء على ما سبق، تكون القرينة في باب التورية خافية لكلا المتكلم والمتلقي مانعة من إرادة المعنى القريب مزيلة صعوبة تحديد معنى ظاهر أبداه المتكلم وخفي أراده حسب نيته الحقيقية (الأندلسي، 2007م).

وأما المجاز فله ثلاثة شروط ضابطة لإعماله حسب طويلة (1993م) وهي:

الأول: وجود العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي المسوغة نقل لفظ من حقيقته إلى مجازه.

الثاني: قيام العلاقة على المشابهة أحيانا وغيرها أخرى.

الثالث: وجود قرينة ملفوظة كانت أم ملحوظة تميز حقيقة لفظ من مجازه.

ومثاله الجملة "الأسد في الفصل" التي ذكرها الباحثون من قبل هو أن لفظ الأسد المتداول عند العرب في مثل تلك الجملة يصور الرجل الشجاع. فالعلاقة المرسومة بين الأسد والرجل الشجاع هي علاقة المشابهة وهي أن شجاعة الرجل تشبه إقدام الأسد. أما القرينة التي تميز حقيقة لفظ الأسد من مجازه فملفوظة من التركيب "في الفصل" إذ ليس

من المألوف لدى الناس أن يتواجد الأسد في أوساط الصرح العلمي الذي هو مكان للتعليم والتعلم. ويرى الباحثون أن طويلة خالف جمهور البلاغيين في شروط صحة إعمال المجاز وذلك في الشرط الثاني القائل إن العلاقة ينبغي أن تقوم كذلك على غير المشابهة. فجمهور البلاغيين يتفقون على أن المجاز اللغوي بما فيه الاستعارة يقوم على علاقة المشابهة فحسب وإلا فسيكون المجاز مجازا مرسلا. ولا يستشف الباحثون من كتابه توضيحا لذلك الشرط الثاني حيث يلتبس على الباحثين الأمر سواء أقصد بالعلاقة غير المشابهة علاقة إسنادية كما هو في المجاز العقلي أم غيرها من العلاقات.

استنتاجا من كل ما سبق، يريد الباحثون أن يقدموا مفهوما جديدا للتورية حتى لا يكون أي لبس فيه بعد مراجعة كل تلك المفاهيم المقدمة للبلاغيين القدامى. فمن أكمل المفاهيم للتورية والتي ينطلق منها الباحثون لتقديم مفهوم جديد هي المفهوم الذي أتى به كل من ابن حِجَّة الحموي وفضل حسن عباس. وعلى الرغم من اعتماد الباحثين عليه إطارا نظريا إلا أنهما مبعث لبس للتورية. فيحسن للباحثين أن يسوقوا تعريفهما طورا آخر للتورية وهي للحموي (1894م): "أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد فتذكر لفظا يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر منها أن مراده البعيد" ولفضل حسن عباس (2007م):"أن يذكر اللفظ المفرد ويكون له معنيان، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويكون البعيد هو المراد ولا بد لها من قرينة تبين المعنى المراد، وهذه القرينة تدرك بالتأمل".

فعبارة "لفظة مشتركة" في تعريف الحموي لم تدل دلالة واضحة على ظاهرة المشترك اللفظي وهو تعدد المعاني للفظ واحد. ينضاف إلى ذلك، لم يوضح الحموي أكثر أيضا ما المقصود باللفظ المشترك سواء مجرد اشتراك لفظ بلفظ في شيء أم تلك الظاهرة اللغوية المعروفة بل اكتفى بالمفهوم ثم مضى بالأمثلة. وفي هذا الصدد، وعلى الرغم من أنه أورد الأمثلة المطابقة بالمشترك اللفظي إلا أن المفهوم لم يزل غير مستوف لإعطاء صورة صحيحة شاملة لمفهوم التورية بأتم معناها حتى لا يجد أحد بابا للبس. وأما فضل حسن عباس فلم يرد كذلك في مفهومه ذكر ظاهرة المشترك اللفظي على أنها الأساس الأهم للتورية. بجانب

ذلك، يرى الباحثون أن ثمة فرقا يسيرا بين عبارتي المشترك اللفظي واللفظ المشترك. عندما يقدم المشترك على اللفظ في المركب الأول فيتعين بذلك تلك الظاهرة من الظواهر اللغوية وهي المنبع الأساس للتورية. وعندما يقدم اللفظ على المشترك في المركب الثاني مثل ما ورد في تعريف التورية للحموي فلم يزل اللبس حاضرا. أهو يعنى بالمشترك في المركب الثاني الاشتراك لغة أي مجرد اشتراك لفظ بين معنيين أو ذاك المبحث اللغوي المقصود في مفهوم التورية.

فيخلص الباحثون إذا، انطلاقا من تعريفهما إلى الإتيان بتعريف آخر جديد للتورية هو: "ذكر لفظ مفرد له معنيان على سبيل الاشتراك ويكون المعنى القريب الظاهر المورى به منه غير مقصود والبعيد الخفي المورى عنه هو المقصود بقرينة خفية".

فالتورية ينبغي أن تكون في اللفظ إفرادا لا تركيبا ويكون لها معنى قريب مورى به غير مقصود ومعنى بعيد مورى عنه هو المقصود. فلا دخل للتورية في حالة التركيب بل التوجيه مثل قول شاعر يصف نهرا (ناصف، 2012م):

إِذَا فَاخَرَتْـهُ الرِّيحُ وَلَّتْ عَلِيلَـةً بِأَذْيَـالِ كُـثْـبَـانِ الثَّرَى تَـتَـعَـثَّـرُ

بِهِ الْفَضْلُ يَبْدُو وَالرَّبِيعُ وَكَمْ غَدَا بِهِ الرَّوْضُ يَحْيَى وَهْوَ لَا شَكَّ جَعْفَرُ

حيث إن كلا من "الْفَضْلُ" و"الرَّبِيعُ" و"يَحْيَى" و"جَعْفَرُ" اسم من أسماء الناس. فمن الملاحظ أن حدوث التوجيه في الكلمات الأربع يكون مركبا لا مفردا. لذا، الفرق الوحيد بين التورية والتوجيه هو طريقة مجيء كلمة إفرادا أو تركيبا. فينبغي أن يذكر لفظ "المفرد" في تعريف التورية لئلا يفهمه أحد أن التورية تحدث في أي لفظ مفردا كان أو مركبا.

ثم ينحصر اللفظ المفرد في معنيين اثنين هما المعنى القريب الظاهر المورى به غير مقصود والبعيد الخفي المورى عنه هو المقصود. ثم ذلك اللفظ المفرد لا يكون لفظا عشوائيا لكن تعبيره ينبغي أن يكون على سبيل الاشتراك أي المشترك اللفظي فحسب. وهذا يعني

أن المشترك اللفظي يكون أهم وسيلة لا غاية للتورية إذ لا تتحقق التورية دون تلك الوسيلة. ثم يغني الباحث عن ذكر لفظ "فأكثر" في تعريف التورية مخافة أن يقع أحد في اللبس ظنا منه أن التورية تتعامل مع أكثر من معنيين فيحصل بذلك تناقض. فينبغي أن يكون التعريف جامعا مانعا. وكل تلك الألفاظ والمعاني حقيقية لا مجازية ولا دخل للمجاز في التورية. أما السياق كونه قرينة فيكون معينا على اقتراب المتلقي من المعنى البعيد المقصود. فلا تكون ثمة حاجة إلى ذكر لفظ "الأقرب" و"الأبعد" في التعريف لثنائية المعنى في التورية.

فيخلص الباحثون في نهاية المطاف إلى أن الفرق بين التورية والمجاز كما يلي:

- تستعين التورية بالمشترك اللفظي الذي هو منبعها الأساس بينما لا يستعين به المجاز.
- تتعامل التورية مع المعنيين الحقيقيين هما المعنى القريب غير المقصود والبعيد هو المقصود بينما يتعامل المجاز مع المعنيين الحقيقي والمجازي.
- تحرص التورية على إخفاء الصلة بين المعنيين القريب والبعيد ولا يحرص عليه المجاز بين المعنيين الحقيقي والمجازي.
- تلعب كثرة تداول لفظ وقلته دورا في التورية ولا تلعبه في المجاز من حيث حقيقية لفظي المعنيين.

أقسام التورية

يتضمن علم البديع كونه أحد فروع علم البلاغة العربية الثلاثة مباحث المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية. فعلم البديع علم يدرك به قوالب الكلام التحسينية بعد إطلاق الكلام في أنسب حال وهذا يعنى به علم المعاني ومراعاة الدلالة الواضحة العارية من غموض معنوي (نوريم، 2017م) وهذا يقصد به علم البيان. يتضح من خلال التعريف أسبقية المعاني والبيان على البديع رتبة في دراسة بلاغية وأن البديع مكمل لهما. لكن الباحثين يرون أن في تعريف علم البيان لعلال نوريم شيئا أساسيا جديرا بذكره كذلك هو تعدد الطرق للتعبير عن دلالة ما. هذا لأن علم البيان لا يهتم بوضوح دلالة فحسب بل بكيفية

أداء تلك الدلالة بطرق مختلفة مصاحبة بأغراض بلاغية معينة مثل التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية.

والتورية هي من أهم المطالب التي تعالج في مباحث المحسنات البديعية المعنوية كما أن للتورية أيضا مسميات عدة وهي الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه (الزركشي، 2006م). على الرغم من اختلاف مسمياتها، فإن لفظ التورية هو الأولى والأقرب من مطابقة المسمى كون اللفظ مصدر وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره (الحموي، 2004م).

فثمة آيتان قرآنيتان ورد فيهما لفظ مشتق من التورية. أولاهما قوله سبحانه في حادثة قتل قابيل أخاه هابيل وهما من أولاد النبي آدم عليه السلام: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: 31) وثانيهما في مراودة الشيطان النبي آدم عليه السلام وزوجه ليخرجهما من الجنة: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف: 20). فلفظ "يُوَارِي-أُوَارِي" في الآية الأولى التي تتحدث عن دفن قابيل جثة أخيه في الأرض و"وُورِيَ" في الثانية التي تتحدث عن ستر العورة عن منظر الزوجين يجمعهما معنى واحد هو الخفاء والستر. فعنصر الخفاء والستر يلازم التورية.

ثم يسعى البلاغيون القدامى والمحدثون إلى تعريف ماهية التورية. فابن منظور (1883م) يعرف التورية لغة في لسان العرب بأنها مأخوذة من وراء الإنسان لأنه إذا قال: "وريته" فكأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر. ومن بين التعاريف الأخرى المقدمة للتورية هي ما يعرفها الهاشمي (1999م) لغة بأنها مصدر وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره، واصطلاحا هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان، أحدهما قريب ظاهر غير مراد،

والآخر بعيد خفي هو المراد بقرينة، ولكنه ورّى عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع لأول وهلة أنه مراد وليس كذلك. فيتضح من التعريفين السابقين أن التورية تكون إذا ستر متكلم معنى لفظ بلفظ آخر فسيكون اللفظ المستور يختفي شيئا فشيئا لا يتناوله ذهن المتلقي. فيفهم المتلقي نتيجة ذلك أن المعنى الظاهر يراد به إيصاله. ثم أورد الهاشمي مثالا ليتبين مفهوم التورية السابق ذكره وهو قوله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ (الأنعام: 60) أي جرحتم معناه البعيد هو ارتكاب الذنوب، ولأجل هذا سميت التورية إيهاما وتخييلا. فالمعنى القريب الظاهر الموري به هو أول ما يتبادر إلى الذهن من حيث التداول الشائع للفظ عند سماعه حيث لفظ جرحتم بمعنى شق الجلد (نوريم، 2017م). ولكن بعد إعادة النظر، علم أن المتكلم لا يقصد من كلامه المعنى القريب بل يقصد معنى آخر بعيدا وهو المقصود. وسر بلاغة التورية للفظ "جَرَحْتُمْ" في الآية أن أي ذنب وبخصوص الذنوب القلبية مثل الأمور العقدية كما يذهب إليه الشيرازي (2017م) ارتكبه شخص عد بمثابة فعل شيء جارح مؤد إلى هلاك جسمه بل نفسه في النهاية.

زيادة على ما سبق، تحدث التورية كذلك في مصطلحات معروفة في شتى العلوم خاصة لدى الشعراء المتأخرين مثل قول الشاعر:

تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا بَيْنَ عَالٍ وَنَازِلٍ ** وَمُضْطَرِبٍ مَثْنًى ثُلَاثٌ وَوَاحِدًا

حيث تم ذكر بعض مصطلحات علم الحديث في الشعر وهي "عَالٍ" و"نَازِلٍ" و"مُضْطَرِبٍ" و"مَثْنًى" و"ثُلَاثٌ" و"وَاحِدًا" وكذلك مثل قول الشاعر:

إِذَا رَوَّحُوهَا حَدَّثُوا عَنْ غَرِيبِهَا تَذَاكُرَ طُلَّابِ الْعُلُومِ الشَّوَارِدَ
فَـهَذَا رَوَى عَمَّنْ رَآهَا تَـوَاتُــرَ وَهَذَا رَوَى عَمَّنْ رَآهَا مَفَارِدًا

حيث جمع بعض مصطلحات علمي الحديث والأصول (قاسم، 2012م) أمثال "غَرِيبِهَا" و"الشَّوَارِدَ" و"تَوَاتُرَ" و"مَفَارِدًا" في الشعر.

ومثال التورية التي جاءت في غير القرآن والشعر ما قاله النبي إبراهيم عليه السلام حين دخل قرية بزوجه سارة فسأله أحد الجبابرة عن زوجه فأجاب إنها أخته. فالأخت إما أن تكون في النسب وهذا هو المعنى القريب الظاهر المورى به وإما أن تكون في الدين وهذا هو المعنى البعيد الخفي المورى عنه (نوريم، 2017م). وفي هذا الصدد، يبين ابن حجر العسقلاني (2013م) أسباب قوله عليه السلام هي أن من عادة الجبار وقتئذ ألا يطلب إلا متزوجات وإن علم أن لامرأة زوجا فسيأمر الزوج بطلاقها أو يقتله أو يسجنه وكذلك إن علم أن لها أخا كان الأخ أحق بزواج أخته. ينضاف إلى ما سبق، جاءت التورية أيضا فيما قاله الرسول ﷺ في توجهه إلى بدر لمحاربة المشركين عندما سأله أعرابي عن أصله فقال ﷺ إنه من ماء. فظن الأعرابي بعد تفكر أنه عراقي لأن ماء أحد أسماء العراق أو أنه من قبيلة عربية اسمها ماء (لاشين، 1999م) وهذا هو المعنى القريب الظاهر المورى به الذي يتبادر إلى ذهنه. لكن أراد ﷺ أن يقول إنه خلق من مني نتيجة معاشرة رجل زوجه أخذا من الآية الكريمة: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ (الطارق: 6) وهذا هو المعنى البعيد الخفي المورى عنه. وكذلك عند سفر رسول الله ﷺ مع أبي بكر للهجرة فسئل عن رجل بجانبه فقال إنه هاد يهديه طريق السفر وهذا هو المعنى القريب الظاهر المورى به. لكن أبا بكر أراد أن يبين أن الرجل معه هاد يهديه طريق الإسلام وهذا هو المعنى البعيد الخفي المورى عنه (الحموي، 1894م).

فشهرة شخصية أبي بكر وعدمها لشخصية الرسول ﷺ يتراءيان فيما أورده البخاري (2002م) في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار من باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ما نصه: "حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "أَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ وَنَبِيُّ اللهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ. قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ.

فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحِقَهُمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا، فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: اللهُمَّ اصْرَعْهُ؛ فَصَرَعَهُ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ. قَالَ: فَقِفْ مَكَانَكَ، لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا. قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ. فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَانِبَ الْحَرَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَاؤُوا إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا وَقَالُوا: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ. فَرَكِبَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسِّلَاحِ، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللهِ. فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبٍ، فَإِنَّهُ لَيُحَدِّثُ أَهْلَهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ يَخْتَرِفُ لَهُمْ، فَعَجِلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا، فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟ فَقَالَ أَبُو أَيُّوبٍ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي. قَالَ: فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا. قَالَ: قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ. فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ. وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ. فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيْلَكُمُ اتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَأَسْلِمُوا. قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ — قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ — قَالَ: فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟ قَالُوا: حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟ قَالُوا: حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟ قَالُوا: حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ. قَالَ: يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ. فَخَرَجَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، اتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ. فَقَالُوا: كَذِبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ".

وفي هذا الصدد، يحسن للباحثين أن يستطردوا قليلا في العبارة "وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ وَنَبِيُّ اللهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ" التي يتسبب عنها توظيف التورية من أبي بكر والتي يراها الباحثون ذات صلة غير مباشرة بالتورية في الحديث النبوي. يستشكل على الباحثين من العبارة "وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ وَنَبِيُّ اللهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ" شيخوخة أبي بكر من الرسول ﷺ إذ من المعروف أن يكون الرسول ﷺ أكبر سنا منه بسنتين. فكأن ظاهرة الحديث تشير إلى أن أبا بكر أسنهما. ولعل ما يجعل شخصية أبي بكر يشار إليها بالبنان أكثر مقارنة مع الرسول ﷺ حسب ما يراه الباحثون هو اشتغاله المبكر بعملية التجارة منذ الجاهلية. ثم يرى الباحثون أيضا أن ظاهرة الحديث توحي بأن أبا بكر له خبرة سابقة في التجارة بالمدينة حتى يعرفه أهلها بسلاسة في حين لم يسبق للرسول ﷺ أن يتجر فيها أو يعاملهم. رأي الباحثين هذا حول أسبقية أبي بكر في الخبرة يشاطره رأي ابن حجر العسقلاني (1959م) في شرحه لصحيح البخاري المسمى بـ"فتح الباري بشرح صحيح البخاري" القائل بأن أبا بكر سبق له أن وطأت قدماه أرض المدينة والطريق الموصلة إليها بخلاف الرسول ﷺ الذي بعد عهده بالسفر من مكة. زيادة إلى ما سبق، فكان أبو بكر من أغنى رجال الأعمال الذين ذاع صيتهم في الجزيرة العربية آنذاك حيث يتبدى من الحديث السابق الذكر عدم غرابة شخصيته عند أهل المدينة. وأما الرسول ﷺ فهو معروف كذلك لكن بعد أن أعلن نبوته وتأكد أهل الكتاب خاصة في المدينة من علامة نبوته المتواجدة في كتابهم. فأتى إليه الناس بعد ذلك من كل حدب وصوب شاهدين بنبوته ورسالته معتنقين بدينه. فسعة تجارة أبي بكر تجعله معروفا حتى لدى الناس في الطريق الموصلة إلى المدينة وحولها كما هو محكي في قصة سفره مع الرسول ﷺ عند سؤال الرجل الأعرابي أبا بكر عن رجل بجانبه. وأما ورود كلمتي الشيخ والشاب ففي رأي الباحثين أيضا أنه ليدل على مدى خبرة كل منهما في السفر والتجارة إلى المدينة لا عمرهما الحقيقي. فكأن طول خبرة أبي بكر واستئناسه في السفر والتجارة ما يعتبره رجلا أسن من الرسول

ﷺ مجازا لا حقيقة. فحصل بكل هذه الاعتبارات توظيف أبي بكر التورية كونه رد فعل لسؤال الأعرابي.

وجدير بالذكر أن التورية التي جاءت في القصص السابقة مثلا لا تعد كذبا وهي حيلة مباحة شرعا إن وجدت حاجة شرعية راجحة على تغرير المخاطب أو دافع لا مفر عنه إلا بالكذب وإلا فمكروه وحرام إذا توصل به أحد إلى موافقة ما هو باطل ومخالفة ما هو حق كما يقوله النووي (2006م) في كتابه المسمى بـ"الأذكار" من باب التعريض والتورية. ولعل من الدوافع التي أباحت توظيف التورية في القصتين هي تخليص النفس مما لا يرجى عواقبه فتنأى عنه (فرج، 2012م) لعلو المقام. وكما أنه من الملاحظ في تلك القصص أن التورية وردت في لسان الأنبياء والصالحين فهذا دليل على جواز توظيف التورية عن طريق صحيح ومناسب وهم لا يكذبون بل يبلغون ما يوحى إليهم من عند الله سبحانه.

ينضاف إلى ذلك، تنقسم التورية ثلاثة أقسام هي التورية المجردة والمرشحة والمبينة كما يلي:

- **فالمجردة**

هي غير مقترنة بما يلائم كلا المعنيين القريب والبعيد (الميداني، 1996م) وهي تطلب متلقيا متمكنا في البحث عن المعنى البعيد لعدم ذكر أي مما يلائم المعنيين (محمد، 2018م) وهذا ما يجعل هذا القسم من التورية صعبا. ولعل سبب تسمية هذا النوع من التورية بمجردة لتجردها من ملائم المعنى القريب والبعيد انطلاقا من التعريف. ومثال التورية المجردة كما جاء في قوله تعالى على لسان بعض بني يعقوب الذين وجدوا أن أباهم ما زال قلبه متعلقا بيوسف بعد طول غيابه: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف: 95). فلفظ "ضَلَالِكَ" يحتمل معنيين أحدهما المعنى القريب الظاهر الموري به من حيث التداول الشائع للفظ والذي قصدوا به أن أباهم صار ضالا في حبه يوسف وشديد الرجاء لعودة يوسف إليه ومصادفته بعد الغياب مدة نيف وثلاثين سنة، والآخر المعنى البعيد

الخفي الموری عنه المقصود من حيث السياق والذي قصدوا به أن أباهم صار ضالا كذلك في غمر نفسه بالحزن حتى يصاب بالمرض الشديد نتيجة تفضيله يوسف مع شقيقه بنيامين على بنيه الآخرين (الميداني، 1996م).

إضافة إلى المفهوم السابق للتورية المجردة، ثمة مفهوم آخر مزيد لها نقله الحموي (1894م) عن البلاغيين هو أنه إذا ورد ما يلائم كلا المعنيين القريب والبعيد فتكافآ ولم يفضل أحدهما على الآخر رجحانا أي كأنهما لم يذكرا وصار كلا المعنيين في درجة واحدة فسيلحق هذا الاعتبار أيضا بالتورية المجردة استشهادا بقول الشاعر:

غَدَوْتُ مُفَكِّـرًا فِي سِـرِّ أُفُـقٍ أَرَانَا الْعِلْمُ مِنْ بَعْدِ الْجَهَالَهْ
فَمَا طَوَيْتُ لَهُ شِبَكَ الدَّرَارِي إِلَى أَنْ أَظْفَـرْتُـهُ بِالْغَـزَالَـهْ

كون لفظ "شِبَكَ" و"الدَّرَارِي" ملائم كلا المعنيين القري

ب والبعيد للفظ التورية "الْغَزَالَهْ" ولكنهما متساويان غير مترجح أحدهما على الآخر. فهذه الحالة تعد كذلك من نوع التورية المجردة.

- **والمرشحة:**

هي مقترنة بما يلائم المعنى القريب وحده وهذا المقارن إما أن يقع قبل اللفظ الذي يتضمن التورية أو بعده (الميداني، 1996م) وهي تحتاج إلى متلق أكثر تمكنا في استخراج المعنى البعيد لخفائه بذكر ما يلائم المعنى القريب وهذا ما يجعل هذا القسم من التورية أبلغ (محمد، 2018م) وأكثر صعوبة. فالمثال الذي ذكر قبل اللفظ قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ (الذاريات: 47) حيث لفظ "بِأَيْدٍ" له معنى قريب ظاهر موری به من حيث التداول الشائع للفظ متبادرا إلى الذهن هو الجارحة المعروفة لأن البناء قبل لفظ التورية لا يلائم إلا تلك الجارحة ومعنى بعيد خفي موری عنه مقصود من حيث السياق هو عظمة الله وقوته (عتيق، 2002م).

ويرى الغزالي (2017م) في كتابه المسمى بـ"إلجام العوام عن علم الكلام" أن ثمة خيارين لشخص واقف أمام مثل تلك الآية، أحدهما عزو المعنى المقصود إلى ما هو يليق بجلالة الله وكبريائه سبحانه والآخر عدم الخوض في البحث عن ذلك المعنى المقصود وهذا هو الواجب على الشخص إذا تعسر عليه فهم كنه حقيقة المقصود لأن الشخص لا يوجب عليه معرفة المقصود ألبتة. ويوضح هو الآخر الدافع من وراء عدم عزو المعنى المقصود إلى اليد المركبة من عصب وعظم ودم ولحم هو أن اليد أحد مكونات جسم الإنسان فهو مخلوق. فإذا دار في خلد الشخص هذا التصور لذات الله سبحانه فإنه عابد مخلوق وحكم عبادة المخلوق كفر مبطل للإيمان بإجماع أئمة السلف والخلف. فجسم المخلوق كثيفا كان مثل الجبل أو لطيفا ومشفا مثل الهواء أو مظلما مثل الأرض أو مشرقا مثل الشمس أو عظيما مثل العرش أو رقيقا مثل الذرة أو جمادا مثل الحجارة أو حيوانا مثل الإنسان، فإن ذلك كله صفة الحدوث ينبغي للشخص المسلم نفي تلك الصفة الجسمية من الله سبحانه.

وفي ظل تحديد معنى اللفظ سياقيا، يعلق ابن عثيمين (2004م) هو الآخر في تفسيره المسمى بـ"تفسير القرآن الكريم" أن الأيد هنا بمعنى القوة وهي ليست جمعا ليد كما ظنه بعض الناس لأن الأيد مصدر آدَ-يَئِيدُ من باب بَاعَ-يَبِيعُ-بَيْعًا. لذا، لا غرابة أن الله سبحانه لم يضف نفسه إلى ذلك اللفظ مخافة أن يخطر ببال الناس أن له أياد حسب ما يتعارفون عليه.

يتفق الباحثون مع كلا الرأيين من الغزالي وابن عثيمين على أن ثمة شيئا يضمهما هو عدم محاولة تشبيه الله سبحانه بما سواه. فلو مال أحد إلى ذلك المعنى الأول القريب لكان ينبغي أن يفوض المعنى الحقيقي المقصود إلى الله وألا يشبهه بالخلق أيا كانت الوجوه إذ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: 11). لكن الباحثين يرون أن عدم الخوض في البحث عن المعنى المقصود بذلك اللفظ هو الأحسن حالا مخافة أن يخطر ببالهم معنى اليد الجارحة وعدم تمكنهم من صرف ذلك المعنى إلى معنى آخر لائق بالله سبحانه. هذا نظرا إلى أن الناس في العصر الراهن كثير منهم لا يتعلمون العقيدة الإسلامية إلا الأبجديات

منها، ولا يتعلم مسائلها بشكل دقيق إلا المتخصصون منهم. إضافة إلى ذلك، تنتشر الكثرة الكاثرة من الهرطقات والمعتقدات الضالة والمضلة في العصر الراهن بشكل سريع وملحوظ ولو أن مثل هذه الانحرافات كانت موجودة من قبل كما شهده سجل التاريخ بدءا من عصر الرسول ﷺ حتى الآن. فإذا كانت هذه الانحرافات قد وجدت وسط إرسالية الرسول ﷺ وهو صاحب الشريعة الإسلامية إسنادا مجازيا فتكون أحوال الناس في العصور التالية التي بعد أن توفي ﷺ أشد. فهم يقعون في غزوات فكرية متعددة الأطراف ويكاد ألا يسلموا منها لجرأة الذين يكونون أتباعا لأهوائهم الباطلة في نشر الانحرافات. فالناس يتعرضون إلى الاعتناق بتلك المفاهيم المزيفة لعدم تثقيفهم بأبجديات العقيدة الإسلامية الصحيحة والمتينة. فالعقيدة السليمة هي أغلى ما يملكه المسلم فعليه أن يحرص على صفائها ولا يسمح لأي مكدر يكدرها.

وأما المثال الذي ذكر بعد اللفظ فقول الشاعر:

مُذْ هَمَّتْ مِنْ وَجْدِي فِي خَالِهَا وَلَمْ أَصِلْ مِنْهُ إِلَى اللَّثْمِ
قَالَتْ: قِفُوا وَاسْتَمِعُوا مَا جَرَى خَالِي قَدْ هَامَ بِهِ عَمِّي!

حيث إن لفظ "خَالِهَا" يحتمل معنيين أحدهما أخو الأم نسبا وهذا هو المعنى القريب الظاهر الموري به من حيث التداول الشائع للفظ لاقتران لفظ "عَمِّي" بعده الذي يقابل الخال والآخر الشامة السوداء في الوجه. وهذا هو المعنى البعيد الخفي الموري عنه المقصود (عتيق، 2002م) من حيث السياق. والشامة استقبحها بعض الشعراء إن كانت في وجه الرجل واستملحوها إن كانت في وجه المرأة بقول الشاعر (محمد، 2018م):

الْخَالُ يَقْبُحُ بِالْفَتَى فِي خَدِّهِ ** وَالْخَالُ فِي خَدِّ الْفَتَاةِ مَلِيحُ

وسمي هذا النوع من التورية بمرشحة لتقويتها بما يلائم المعنى القريب الذي يعد ضعيفا فيترشح أي يتقوى بذكر ملائمه (مولداواتي، 2010م). لكن الشيرازي

(2017م) حول تسمية هذا النوع من التورية يرى أن الأولى التسمية بالموشحة لكون التورية متشحة أي مكتسية بملائم المعنى القريب. والباحثون يرون أن التسمية بالمرشحة هي الأولى للسبب الذي سبق ذكره ولشهرتها في كتب البلاغة. أما ما زعمه الشيرازي حول أولوية التسمية بالموشحة فيرى الباحثون أنها ستنضوي تحتها كذلك التورية المبينة التي سيبين الباحثون مفهومها في النقطة الآتية.

- **والمبينة:**

هي مقترنة بما يلائم المعنى البعيد وحده وهذا المقارن أيضا يقع إما قبل اللفظ الموضوع للتورية أو بعده (الميداني، 1996م) مثل القسم السابق وهي تسهل متلقيا في اكتشاف المعنى البعيد بذكر ما يلائمه فلا يبذل المتلقي قدرة كثيرة (محمد، 2018م) في هذا القسم من التورية. وسمي هذا النوع من التورية بمبينة لخفاء المعنى البعيد من قبل فيتبين بذكر ما يلائمه (مولداواتي، 2010م). فمثال ما ذكر قبل ذلك اللفظ الموضوع للتورية قول البحتري:

وَوَرَاءَ تَــسْـدِيَـةِ الْوِشَاحِ مَلِـيَّــةٌ ** بِالْحُسْنِ تَمْلُحُ فِي الْقُلُوبِ وَتَعْذُبُ

كون لفظ "تَمْلُحُ" له معنيان هما الملوحة مذاقا وهذا هو المعنى القريب الظاهر الموري به من حيث التداول الشائع للفظ والملاحة حسنا وهذا هو المعنى البعيد الخفي الموري عنه من حيث السياق لاقتران تعبير "مَلِيَّةٌ بِالْحُسْنِ" قبله. ومثال ما ذكر بعد اللفظ الذي يحتمل التورية قول الشاعر:

أَرَى ذَنَبَ السَّرْحَانِ فِي الْأُفُقِ طَالِعًا ** فَهَلْ مُـمْكِنٌ أَنَّ الْغَزَالَــةَ تَطْلُعُ؟

وفي هذا البيت توريتان الأولى في تعبير "ذَنَبَ السَّرْحَانِ" حيث يحتمل المعنى القريب الظاهر الموري به من حيث التداول الشائع للفظ هو ذنب للحيوان والمعنى البعيد

الخفي المورى عنه المقصود به من حيث السياق هو أول ضوء النهار لاقتران لفظ "طَالِعًا" بعده. والثانية في لفظ "الْغَزَالَةَ" حيث يحتمل المعنى القريب هو الحيوان الأليف المعروف والمعنى البعيد المقصود به هو الشمس لاقتران لفظ "تَطْلُعُ" بعده.

في حين، أضاف عبد العزيز عتيق (2002م) قسما رابعا آخر لأقسام التورية السابق ذكرها ألا وهو التورية المهيأة التي عرفها بأنها لا تتهيأ إلا إذا كانت مقترنة بلفظ قبلها أو بعدها أو تكون هذه التورية كذلك في لفظين لا تتهيأ إلا إذا ذكر كل من اللفظين. انطلاقا من هذا، تنقسم التورية لهذا القسم عنده ثلاثة أقسام:

- **والمهيأة:**

فالقسم الأول هو الذي تكون التورية بلفظ قبلها مثل قول ابن سناء الملك مادحا الملك المظفر صاحب حماة:

وَسَـيْـرُكَ فِـيـنَا سِـيـرَةً عُمَرِيَّـةً فَرَوَّحْتَ عَنْ قَلْبٍ وَأَفْرَجْتَ عَنْ كَرْبِ
وَأَظْهَرْتَ فِـيـنَا مِنْ سَمِيِّكَ سُـنَّـةً فَأَظْهَرْتَ ذَاكَ الْفَرْضَ مِنْ ذَلِكَ النَّدْبِ

حيث تقع التورية في لفظي "الْفَرْضَ" و"النَّدْبِ" اللذين يحتملان الحكمين الشرعيين في الإسلام وهذا هو المعنى القريب الظاهر يوري به الشاعر من حيث التداول الشائع للفظين. ويحتمل الفرض كذلك ما يعطى ويحتمل الندب الرجل السريع في أداء الحاجة وهذا هو المعنى البعيد الخفي المورى عنه من حيث السياق. فلولا ورود لفظ "سُنَّةً" من قبل لما تهيأت التورية وفهم أول وهلة الحكمان الشرعيان من لفظي "الْفَرْضَ" و"النَّدْبِ".

والثاني هو الذي تكون التورية بلفظ بعدها مثل قول الشاعر:

لَوْلَا التَّطَـيُّـرُ بِالْخِلَافِ وَأَنَّهُمْ قَالُوا: مَرِيضٌ لَا يَعُودُ مَـرِيضًا
لَقَضَيْتُ نَحْبِي فِي جَـنَـابِـكَ لِأَكُونَ مَنْدُوبًا قَضَى مَفْرُوضًا

حيث لفظ "مَنْدُوبًا" يحتمل أن يكون أحد الأحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب الظاهر المورى به من حيث التداول الشائع للفظ ويحتمل أن يكون الميت المبكي عليه وهذا هو المعنى البعيد الخفي المورى عنه من حيث السياق. فلولا ورود لفظ "مَفْرُوضًا" من بعد لما تهيأت التورية وفهم أيضا الحكم الشرعي من لفظ "مَنْدُوبًا".

والثالث هو الذي تكون التورية في لفظين لا تتهيأ إلا إذا ذكر كل من اللفظين مثل قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا عَمَّرَكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

حيث موضع التورية في لفظي "الثُّرَيَّا" و"سُهَيْلًا." فلفظ "الثُّرَيَّا" يحتمل نجم الثريا وهذا هو المعنى القريب الظاهر المورى به من حيث التداول الشائع للفظ ويحتمل بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وهذا هو المعنى البعيد الخفي المورى عنه أراد به الشاعر من حيث السياق. ويحتمل لفظ "سُهَيْلًا" أيضا نجم سهيل وهذا هو المعنى القريب الظاهر ويحتمل كذلك سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وهو رجل يماني مشهور وهذا هو المعنى البعيد الخفي المقصود. فلولا ورود لفظي "الثُّرَيَّا" و"سُهَيْلًا" جنبا إلى جنب لما تهيأت التورية (عتيق، 2002م).

لكن هذا القسم الرابع الأخير الذي ذكره عبد العزيز عتيق لأقسام التورية حسب رأي الباحثين يفتقر إلى إعادة النظر حولها لأن تلك التورية المهيأة يمكن إدراجها كذلك تحت التوريتين المرشحة والمبينة. ففي هذا الصدد، يتفق الباحثون مع عشري محمد علي محمد (2018م) على ما أتى به حول الأمر قائلا بأن القسم الأول والثاني من التورية المهيأة يندرج تحت التورية المرشحة والثالث منها يندرج تحت التورية المبينة.

هذا لأن القسم الأول من التورية المهيأة الذي ذكر قبلها ما يلائم المعنى القريب والثاني الذي ذكر بعدها ما يلائم المعنى القريب ينسجمان مع مفهوم التورية المرشحة. والحال نفسه في القسم الثالث من التورية المهيأة الذي ذكر بعدها ما يلائم المعنى البعيد حسب المثال الشعري الذي أتى به عبد العزيز عتيق ينسجم مع مفهوم التورية المبينة. فاستنادا إلى هذا، يرى الباحثون أنه لا حاجة إلى هذا القسم الرابع من التورية وهو التورية المهيأة لتداخل مفهومها مع مفهوم الأقسام الثلاثة الأولى ولعدم إضافة مفهومها شيئا جديدا مغايرا لما كان في مبحث التورية. لذا، تنقسم التورية إلى ثلاثة أقسام مشهورة عند البلاغيين فحسب وهي التورية المجردة والمرشحة والمبينة.

وإذا اعتبر ذلك القسم الرابع وهو التورية المهيأة فمن المستحسن أن تقسم التورية إلى أقسام من حيث اعتبارات معينة مثل ذكر ملائم التورية لمعناها القريب أو البعيد أو عدم ذكره أو ذكر ذلك الملائم قبل التورية أو بعدها أو عدم ذكره. ولعل الجدولين التاليين يرسمهما الباحثون يلخصان الحديث عن أقسام التورية حسب وقوع ما يلائم معناها القريب أو البعيد وكذلك حسب وقوع الملائم قبلها أو بعدها. فالجدولان كما يلي:

الجدول 1: أقسام التورية حسب وقوع الملائم لمعناها القريب أو البعيد

الرقم	أقسام التورية	ملائم المعنى القريب	ملائم المعنى البعيد
1	المجردة	-	-
2	المرشحة	/	-
3	المبينة	-	/

الجدول 2: أقسام التورية حسب وقوع الملائم قبلها أو بعدها

الرقم	أقسام التورية	الملائم قبلها	الملائم بعدها
1	المجردة	–	–
2	المرشحة	/	/
3	المبينة	/	/

انطلاقا من الجدولين، تكون التورية المجردة إذا لم يكن لها أي ملائم والتورية المرشحة إذا كان لها ملائمان يناسبان المعنى القريب قبلها أو بعدها. أما التورية الأخيرة وهي التورية المبينة فتكون إذا كان لها ملائمان يناسبان المعنى البعيد قبلها أو بعدها. وأما ما يخص درجة صعوبة إدراك المعنى البعيد المقصود من التورية وسهولته فتكون التورية المرشحة أصعب قسم والتورية المبينة أسهله وتتوسطهما التورية المجردة. هذا لأن التورية المرشحة تبعد القارئ عن الوصول إلى ذلك المعنى البعيد المقصود الذي لا يسهل البحث فيه إلا بعد طول تأمل. أما التورية المبينة فيتوسع للقارئ البحث عن ذلك المعنى البعيد المقصود بوساطتها لتواجد قرينة صارفة الأذهان إليه. ثم تأتي التورية المجردة التي يراها الباحثون قسما محايدا لعدم تواجد أية قرينة لافتة إلى المعنى البعيد المقصود أو صارفة عنه.

ففي الحديث عن هذا القسم المحايد، تكون درجة صعوبة إدراك المعنى البعيد المقصود أو سهولته نسبية حسب قدرات لغوية لقارئ. فكلما زادت تلك القدرات اللغوية اقترب القارئ من الإدراك. ثم يذهب الحموي (1894م) إلى أن ملائم التورية المرشحة والمبينة مقويان للتورية. ولعل تعليل ما قاله الحموي حسب ما يراه الباحثون أن ملائم التورية المرشحة يقوي خفاء المعنى البعيد المقصود من أن يدركه قارئ بسهولة. وأما ملائم التورية المبينة فهو يقوي سعي القارئ إلى إدراكه المعنى البعيد المقصود على الرغم من خفائه أصلا

وهذا لا يتناقض وطبيعة مفهوم التورية التي عليها مدار الخفاء. فلا تناقض حصل فيما يتعلق بالهدف الأساس من التورية وهو الخفاء.

النتائج والتوصيات:

من جميع ما تقدم، يخلص الباحثون إلى أن ثمة حضورا قويا لأسلوب التورية التي وظفها الله سبحانه في بعض آيات سور الجزء الثلاثين من القرآن الكريم قصد إثبات عقيدة المؤمنين به من خلال توظيف ذلك اللون من الألوان البديعية المعنوية بعد أن أدركوا معاني خفية لألفاظ معينة. فإثبات تلك العقيدة في أنفسهم يتراءى في عملية إيقاظ ذهنهم ومفاجأته ليترك نتيجة تلك العملية وقعة في أعماقهم. وسيسرد الباحثون خلاصة ما وصلوا إليه في الفقرات التالية.

فلأن الهدف الأول من البحث الحالي التأكد من مفهوم التورية والفرق بينها وبين المشترك اللفظي والمجاز، فالدراسة النقدية التي قام بها الباحثون حول الفرق بين تلك المفاهيم الثلاثة تفضي به إلى مراجعة تعريف التورية من جديد وهو: "ذكر لفظ مفرد له معنيان على سبيل الاشتراك ويكون المعنى القريب الظاهر المورى به منه غير مقصود والبعيد الخفي المورى عنه هو المقصود بقرينة خفية". فظاهرة المشترك اللفظي تعد المنشأ الأساس الذي تتولد منه التورية والمعين على فهم معنييها القريب والبعيد أو الأداة لها على حد تعبير حسان (2007م) فضلا عن إدراك قرينة خفية مثل السياق وكمية تداول لفظ. هذا لأن الباحثين يرون أن مفهوم التورية لدى البلاغيين القدامى لا يكفي لإعطاء التورية مفهوما خاصا لا يشوشه آخر. ويحسن ذكر أن التورية كلها مشترك لفظي وليس كل المشترك اللفظي تورية. وبما أن كلا من التورية والمجاز يتعامل مع معنيين اثنين إلا أن المعنيين في التورية حقيقيان وفي المجاز حقيقي ومجازي. ثم إن المعنيين في التورية تربطهما صلة خفية صعبة الإدراك للذهن أول وهلة وليس ذلك في المجاز.

ويستشف من رأي عمر (2003م) إلى أن للمشترك اللفظي جانبه السلبي هو كونه يحدث اللبس ويمنع التفاهم ويلقي ظلال الغموض للشخص حتى يعسر عليه تعيين المعنى المقصود أمام تراكم معان محتملة من ذلك المشترك اللفظي. ففي ظل الأمر، لا يستهجن الباحثون هذه الظاهرة بل يعدها خصيصة من خصائص لغة القرآن التي لا تكون في غيره بتاتا. هذا لأن عدم ورود الظاهرة سيجعل القرآن مصطفا مع باقي نصوص أخرى وبالتالي لا يصح أن يطلق عليه لقب الإعجاز. والمشترك اللفظي إن حمل إلى معنى ثم جاء ويراد به آخر أحدث تشوقا للنفس إليه (السيوطي، 2015م) مما يساهم في جمالية توظيف التورية. فلا داعي للاستعسار لأن ثمة قرائن سياقية تعين الشخص على تعيين المعنى المقصود وهي أقوى القرائن إيحاء حسب رأي الباحثين والقرآن أوفى النصوص بالتزويد بالقرائن عندما يقف متلقيه أمام اللبس في معنى لفظ كما يقوله حسان (2007م) فلا يتركه متحيرا.

ويؤيد رأي الباحثين حول قرينة السياق أيضا ما يذهب إليه مكرم (2009م) أن محور المشترك اللفظي السياق الذي هو علاقة الكلمة في جملة بكلمة قبلها أو بعدها التي يحدث فيها المشترك اللفظي معللا أن الألفاظ ليست مجرد أجساد بلا أرواح لكنها حية متفاعلة مع باقي الألفاظ المتعلقة بالمشترك اللفظي. وينقل مكرم كذلك قول فيرث إن انكشاف المعنى لا يتم إلا من خلال التسييق أي وضع الألفاظ في سياقات مختلفة لأن أغلب معاني وحدات لغوية تتعين بملاحظة وحدات لغوية أخرى لكون كل تلك الوحدات تقع في مجاورة بعضها بعضا في الجملة مثل قول المتنبي:

يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاعِي الْهَوَى إِذْ رَحَلَ الْجِيرَانُ عِنْدَ الْغُرُوبْ
أَتْبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ أَزْمَعُوا وَدَمْعُ عَيْنَيَّ كَفَيْضِ الْغُرُوبْ
كَانُوا وَفِيهِمْ طَفْلَةٌ حُرَّةٌ تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَقَاحِي الْغُرُوبْ

بحيث إن كلمة "الْغُرُوبْ" التي تتكرر ثلاث مرات الأولى منها تعني غروب الشمس لأن البيت يدور حول رحلة الجيران سياقيا فيتعين المعنى. والثانية والثالثة جمع لكلمة "غَرْبٍ" إلا أن الثانية تعني عظمة الدلو المملوءة لأن البيت يدور حول سيلان الدمع الذي يشبه الفيضان سياقيا فيتعين المعنى والثالثة تعني الوهدة المنخفضة لأن البيت يدور حول الثغر المبتسم الذي يشبه نبات الأقاحي سياقيا فيتعين المعنى. لذا، يعد السياق مكونا مهما في تعيين المعنى المقصود وإلا فيلتبس الأمر أمام المتلقي نتيجة تجريده السياق منه.

والأمر الآخر الذي يشرحه حسان هو أن ثمة فرقا بين اللبس واحتمال المعاني الممكنة بحيث تتمحور حول الثاني ظاهرة المشترك اللفظي كما يذهب إليه الباحثون. فخير معول يلجأ إليه متلق عند مواجهته احتمال معان ممكنة للفظ هو السياق. ثم يرى الغزالي (1992م) أن العرب لم يستعملوا المشترك اللفظي قصد الجمع. لعل ما يقصده الغزالي هو أن المشترك اللفظي إذا وظف أريد به معنى واحد فحسب. فإذا تعين معنى انتفت باقي معان أخرى محتملة. ففي التورية، المعنى البعيد الموى عنه هو ما ينبغي أن يتعين باستعانة السياق.

فبعد أن تبين مفهوم التورية والمحترزات السالفة الذكر، تنقسم التورية إلى ثلاثة أقسام وعليها جمهور البلاغيين القدامى والمحدثين وهي التورية المجردة والمرشحة والمبينة. فأولى تلك الأقسام الثلاثة متجردة عن أن يكون فيها ما يلائم التورية. وأما ثانيها فيترشح المعنى القريب للتورية بذكر ما يلائم ذلك المعنى قبلها أو بعدها وثالثها فيتبين المعنى البعيد المقصود بالتورية بذكر ما يلائم ذلك المعنى قبلها أو بعدها. فانطلاقا من هذا التقسيم الثلاثي، قسم الباحثون التورية إلى اعتبارين اثنين هما حسب وقوع ما يلائم المعنى القريب أو البعيد للتورية والآخر حسب وقوع ما يلائمها قبلها أو بعدها.

ينضاف إلى ما سبق، يود الباحثون أن يسرد شيئا مهما باختصار خلصوا إليه خلال البحث وهو تقديم مفهوم جديد للتورية. وبما أن البحث الحالي يتحدد في البحث عن التورية والفرق بينها وبين المشترك اللفظي والمجاز، ينتهي الباحثون، فتحا لآفاق نوعية

البحث، موصيا بأن يجرى مزيد من بحوث تبحث عن مواضع للتورية وجماليتها في القرآن الكريم إجراء مكثفا ثم تسعى إلى تحليل أسرار كامنة من وراء ورود التورية إيمانا من الباحثين أن هذا النوع من الأسلوب يزخر بمعان جليلة لطيفة تبرهن على أن القرآن الكريم جاء من لدن حكيم عليم.

References

Al-Qur'ān al-Karīm

[c]Abbās, Fadhl Ḥasan. (2007M). *Al-Balāghah Funūnuhā Wa Afnānuhā*: [c]Ilm al-Bayān Wa al-Badīc. cAmmān: Dār al-Furqān Li al-Nasyr Wa al-Tauzī[c]. (11th eds.).

Al-Bukhārī, Abū cAbdu Allah Muḥammad Bin 'Ismācīl. (2002M). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Bayrūt: Dār Ibn Katsīr.

Al-Fādānī, Muḥammad Yāsīn. (2015M). *Ḥusnu al-Ṣiyāghah Syarḥ* Durūs al-Balāghah. Dār al-Ruwāq al-Azharī. (2nd eds.).

Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad Bin Muḥammad. (1992M). *Al-Mustaṣfā Min [c]Ilm al-Uṣūl*. Jaddah: Syarikah al-Madinah al-Munawwarah Li al-Ṭibācah.

Al-Ghazālī, Muḥammad Bin Muḥammad Bin Muḥammad Bin Aḥmad. (2017M). *Iljām al-[c]Awām [c]An [c]Ilm al-Kalām. Jaddah*: Dār al-Minhāj. (1st eds.).

Al-Ḥamawī, Ibn Ḥijjah Taqī al-Dīn Abū Bakar [c]Alī. (2004M). *Khizānah al-'Adab Wa Ghāyah al-'Arb. Bayrūt*: Dār Wa Maktabah al-Hilāl.

Al-Ḥamawī, Ibn Ḥijjah Taqī al-Dīn Abū Bakar cAlī. (1894M). *Kasyf al-Litsām cAn Wajh al-Tauriyah Wa al-Istikhdām*. Bayrūt: Al-Maṭbacah al-'Ansiyyah.

Al-Ḥamlāwī, Aḥmad. (2010M). *Syazā al-cArf Fī Fann al-Ṣarf*. Al-Qāhirah: Maktabah Ibn Sīnā Li al-Nasyr Wa al-Tauzīc.

Al-Hāsyimī, al-Sayyid Aḥmad. (1999M). *Jawāhir al-Balāghah Fī al-Macāni Wa al-Bayān Wa al-Badīc. Bayrūt*: Al-Maktabah al-cAṣriyyah.

Al-Hāsyimī, Ibn Ḥijjah Taqī al-Dīn Abū Bakar cAlī. (2004M). *Khizānah al-'Adab Wa Ghāyah al-'Arb*. Bayrūt: Dār Wa Maktabah al-Hilāl.

Al-'Andalusī, Abū Jacfar Aḥmad Bin Khātimah al-Anṣārī. (2007M). *Rā'iq al-Taḥliyah Fī Fā'iq al-Tauriyah*. Majallah Kulliyyah al-'Adab Bi Qana (21).

Al-‘Ifrīqī, Abū al-Fadhl Jamāl al-Dīn Muḥammad Bin Mukrim Ibn Manzhūr. (1883M). *Lisān al-ᶜArab. Bayrūt*: Dār al-Ṣādir. (1st eds.).

Al-Jawziyyah, Abū cAbdu Allah Muḥammad Bin Abū Bakar Bin ‘Ayyūb Ibn Qayyim. (2003M). *Badāʾᶜ Al-Fawā’id. Dār cĀlam al-Fawā’id*.

Al-Mīdānī, ᶜAbdu al-Raḥman Ḥabannakah. (1996M). *Al-Balāghah al-ᶜArabiyyah*: ‘Ususuhā Wa cUlūmuhā Wa Funūnuhā. Jaddah: Dār al-Basyīr. (1st eds.).

Al-cAsqalānī, Aḥmad Bin cAlī Bin Ḥajar. (1959M). *Fatḥ al-Bārī Bi Syarḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Al-Qāhirah: Al-Maktabah al-Salafiyyah. (1st eds.).

Al-cUtsaimīn, Muḥammad Bin Ṣāliḥ. (2004M). *Tafsīr al-Qur’ān al-Karīm. ‘Unaizah*: Dār Tsurayyā Li al-Nasyr. (1st eds.).

Ar-Rāzī, Fakhr al-Dīn Muḥammad Bin ᶜUmar Bin al-Ḥusain. (1992M). *Al-Maḥṣūl Fī ᶜIlm Uṣūl al-Fiqh*. Bayrūt: Mu’assasah al-Risālah. (2nd eds.).

As-Ṣāliḥ, Ṣubḥī. (2009M). *Dirāsāt Fī Fiqh al-Lughah. Bayrūt*: Dār al-cIlm Li al-Malāyīn. (3rd eds.).

As-Sāmurā’ī, Fādhil Ṣāliḥ. (2011M). *‘As’ilah Bayāniyyah Fī al-Qur’ān al-Karīm. Bayrūt*: Dār Ibn Katsīr. (1st eds.).

As-Sāmurā’ī, Mahdī Ṣāliḥ. (2015M). *Al-Majāz Fī al-Balāghah al-cArabiyyah*. Dār Ibn Katsīr. (1st eds.).

As-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn. (2015M). Al-‘Itqān Fī cUlūm al-Qur’ān. Mu’assasah al-Risālah Nāsyirūn. (1st eds.).

As-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn ᶜAbdu al-Raḥmān Bin Abū Bakar. (1998M). *Al-Muzhir Fī ᶜUlūm al-Lughah Wa ‘Anwācihā. Bayrūt*: Dār al-Kutub al-cIlmiyyah. (1st eds.).

As-Syīrāzī, Murtadhā al-Ḥusainī. (2017M*). Al-Macāridh Wa al-Tauriyah.*

ᶜ*Atīq,* ᶜ*Abdu al-cAzīz*. (2002M). Fī al-Balāghah al-cArabiyyah: cIlm al-Badīc. Bayrūt: Dār al-Nahdhah al-cArabiyyah.

At-Taftāzānī, Mascūd Bin ᶜUmar Bin ᶜAbdu Allah Sacd al-Dīn. (2018M). *Syarḥ al-‘Imām al-Saᶜd al-Taftāzānī ᶜAlā al-Syamsiyyah Fī al-Manṭiq Li al-‘Imām al-Kātibī.* ᶜ*Ammān*: Dār al-Nūr al-Mubīn. (4th eds.).

Az-Zarkasyī, Badr al-Dīn Muḥammad Bin cAbdu Allah. (2006M). *Al-Burhān Fī ᶜUlūm al-Qur’ān. Bayrūt*: Mu’assasah al-Risālah. (1st eds.).

Farj, Basyīr Sālim. (2012M). *Al-Qīmah al-Balāghiyyah Li al-Muḥassināt al-Badīᶜiyyah al-Macnawiyyah*. Majallah Jāmicah Bābil 20(2).

Ḥassān, Tammām. (2007M). *Ijtihādāt Lughawiyyah. Al-Qāhirah*: ᶜĀlam al-Kutub. (1st eds.).

‘Īkū, ‘Ambartū. (2005M). *Al-Sīmiya’iyyah Wa Falsafah al-Lughah*. Bayrūt: Al-Munazzhamah al-cArabiyyah Li al-Tarjamah. (1st eds.).

Lāsyīn, ᶜAbdu al-Fattāḥ. (1999M). *Al-Badīᶜ Fī Dhau’i Asālīb al-Qur’ān*. Al-Qāhirah: Dār al-Fikr al-cArabī.

Maṭlūb, Aḥmad. (2006M). *Muᶜjam al-Muṣṭalaḥāt al-Balāghiyyah Wa Taṭawwuruhā*. Al-Dār al-ᶜArabiyyah Li al-Mausūcāt. (1st eds.).

Maulidāwātī, Millah. (2010M). *Uslūb al-Tauriyah Fī Surah al-Ḥadīd* (Dirāsah Taḥlīliyyah Balāghiyyah). Yogyākartā: Jāmiᶜah Sūnān Kālījāgā al-‘Islāmiyyah al-Ḥukūmiyyah.

Muḥammad, ᶜAsyrī Muḥammad ᶜAlī. (2018M). *Al-Tauriyah Dirāsah Tadāwuliyyah*. Majallah Kulliyyah Dār al-ᶜUlūm 35(112).

Mukrim, ᶜAbdu al-ᶜĀl Sālim. (2009M). *Al-Musytarak al-Laẓfī Fī Dhau’i Gharīb al-Qur’ān al-Karīm*. Al-Qāhirah: cĀlam al-Kutub. (1st eds.).

Nāsif, Ḥifnī, Diyāb, Muḥammad, Muḥammad, Sulṭān, Ṭamūm, Muṣṭafā. (2012M). *Durūs al-Balāghah. Bayrūt*: Dār Ibn Ḥazm. (1st eds.).

Nūrīm, ᶜIlāl. (2017M). *Jadīd al-Tsalātsah al-Funūn Fī Syarḥ al-Jauhar al-Maknūn*. Markaz al-Turāts al-Tsaqāfī al-Maghribī. (1st eds.).

Qāsim, Jamāl Ibrāhīm. (2012M). *Al-Balāghah al-Muyassarah. Al-Qāhirah*: Dār Ibn al-Jauzī.

Rāmburī, Abū al-‘Afdhāl Muḥammad Fadhl Ḥaq. (2011M). *Syumūsyh al-Barāᶜah Syarḥ Durūs al-Balāghah. Al-Qāhirah*: ᶜĀlam al-Kutub.

Ṭawīlah, ᶜAbdu al-Wahhāb ᶜAbdu al-Salām. (1993M). *‘Atsar al-Lughah Fī Ikhtilāf al-Mujtahidīn*. Dār al-Salām Li al-Nasyr Wa al-Tauzīc Wa al-Tarjamah.

cUmar, Aḥmad Mukhtār. (2003M). *Al-‘Isytirāk Wa al-Tadādh Fī al-Qur’ān al-Karīm (Dirāsah ‘Iḥṣā’iyyah)*. Al-Qāhirah: cĀlam al-Kutub.